المبحث الثانى

التعليم فريضة إسلامية

قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[1]

وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

والمقصود بالعلم هنا كما أجمع العلماء :

« هو علم الدين بالضرورة ، ومن علوم الحياة على قدر الكفاية » .

- تمهيد .
- نحو آفاق جديدة فى مناهج التعليم .
- مشروعات تحفيظ القرآن الكريم بين الإيجابيات والسلبيات .
- رسائل مفتوحة إلى جهات مسئولة .
- علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل .
- اللغة العربية لسان كل مسلم .

---

(١) المجادلة : ١١ .

● تمهيد :

يقول الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة » ، على من يا رسول الله ؟ بالتأكيد على كل مسلم ومسلمة .. هل فى عصر النبوة فقط ؟ .. أم يمتد ذلك إلى عصر الخلفاء الراشدين .. فالعصر الأموى .. فالعصر العباسى .. ثم إلى عصرنا هذا ؟

ماذا لو أصبح هذا الحديث النبوى حقيقة واقعة فى عالم المسلمين اليوم ؟ بالتأكيد لا ولن تكون فى أحشاء الأمة الإسلامية جهل ولا فقر ولا مرض .

لكن الواقع على عكس ما قاله الرسول ﷺ حيث تأخر المسلمون وتقدم غيرهم .

تأخر المسلمون حين نسوا تعاليم دينهم فى الدنيا والآخرة ، وتقدم غيرهم حين أخذوا بأسباب العلم ، فالعلم أساس التقدم .

وقديما قال الشاعر (أحمد شوقى) :

يا طالبا لمعالى الملك مجتهدا خذها من العلم أو خذها من المال

بالعلم والمال يبنى الناس مجدهموا لم يبن مجد على جهل وإقلال

والعلم وسط بين الإيمان والعمل الصالح .. فعلم بلا إيمان لا قيمة له ، وعلم بلا عمل صالح لا ينتفع به .. وقد استعاذ الرسول ﷺ من علم كهذا فقال : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع » .

ويؤتى الإنسان العلم النافع أو الحكمة بعد تقوى الله مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) البقرة : ٢٨٢ . (٢) البقرة : ٢٦٩ .

نحو آفاق جديدة فى مناهج التعليم[1]

كان أول نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وهو فى غار حراء .. قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] . صدق الله العظيم

ثم توالت الآيات الكثيرة للحث على التعليم .. وقد أكد الرسول ﷺ على ذلك بأحاديث متعددة .. نذكر منها « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » والمقصود بالعلم هنا هو علم الدين كفرض عين وعلوم الحياة كفرض كفاية .

ورغم هذا فإن المسلمين تكاسلوا فى فهم إسلامهم كما تكاسلوا فى فهم الحياة فتأخروا وتقدم غيرهم .

ولكن بحمد الله مع الصحوة الإسلامية التى انتشرت فى كل مكان ظهرت فى الآفاق مناهج تعليمية جديدة لم نعهدها من قبل .. بعضها الآن فى مجال التطبيق والبعض الآخر ما زال فكرا يراود الباحثين .

كان مفهوم التعليم عندنا أن من لم يتعلم فى الصغر فقد فاته القطار .. والآن يوجد تعليم الكبار من الرجال والنساء وقد نبغ الكثيرون منهم ووصلوا إلى أعلى المراتب بعد أن ظلوا فترة من حياتهم أميين .

وكان المفهوم أن من وصل إلى شهادة الدبلوم أو الليسانس أو البكالوريوس فقد استوفى حقه من التعليم وعليه فقط أن يطلب وظيفة ثم يتجمد .. والآن توجد الفرص الكثيرة نحو استكمال التعليم للحصول على شهادات أعلى وللحصول على شهادات أخرى متخصصة تخدم مجالات العمل المختلفة .. وبحر العلم واسع والرسول ﷺ حثنا على طلب العلم من المهد إلى اللحد ، أى من الصغر حتى الموت ، وليس هناك توقف عند مرحلة معينة .. فالعالم يظل عالما حتى إذا توقف صار جاهلا .

---

(١) نشرت هذه المقالة بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية (١٤ / ١٠ / ١٩٨٨).

(٢) العلق : ١ - ٥ .

وقد كان لدولة الإمارات العربية المتحدة الدور الكبير فى عودة الروح العربية الأبية إلى مجالات العلم .. وذلك باتباع الأساليب المبتكرة التالية :

(أولا) كليات التقنية والتربية :

ارتفع مستوى التعليم بدولة الإمارات بشكل لم يسبق له مثيل وبدأت الثمار بتخريج أفواج من الجامعة تتولى مسئولياتها بوظائف الدولة .. ولكن لوحظ أن معظم الخريجين يفضلون الأعمال الإدارية ويبتعدون عن التخصصات اللازمة لنهضة البلاد فى مجالات : التدريس والصناعة والزراعة والطب والمحاسبة .. وغيرها .

لهذا فإن اتجاه الدولة نحو إنشاء كليات التقنية بالإمارات يعد أولى الخطوات العملية نحو إنشاء جيل يتحمل مسئوليته فى كافة التخصصات .

(ثانيا) المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم :

وهى التى أسسها الحاج / سعيد أحمد لوتاه تحت شعار « تعلم لتعمل ، واعمل لتعلم » انطلاقا من تعاليم الدين الإسلامى الحنيف وهى تقوم على الأسس الآتية :

- التنشئة الإسلامية .
- تأصيل اللغة العربية .
- التعليم النافع المناسب لمراحل النمو .
- اختصار مدة الدراسة .

ومراحل الدراسة فيها ثلاث :

- مرحلة العلوم الأساسية (٤ سنوات)
- المرحلة التوجيهية (سنة واحدة) .
- مرحلة التخصص (٤ سنوات) وتشمل :

(أ) تخصص هندسة مدنية ومعمارية (ويدرس فيها ١٨ مادة) .

(ب) تخصص الهندسة الكهربائية الإلكترونية (ويدرس فيها ٩ مواد) .

(جـ) تخصص الهندسة الميكانيكية (ويدرس فيها ١٤ مادة) .

(د) تخصص الهندسة الكيميائية (ويدرس فيها ٩ مواد) .

(هـ) تخصص إدارة الأعمال (ويدرس فيها عشر مواد) .

(و) تخصص التجارة (ويدرس فيها ٩ مواد) .

هذا بالإضافة إلى المواد الأخرى المساعدة ، وقد روعى فى المناهج عدم التطويل الممل وعدم الاختصار المخل مع اعتبار التخرج فى سن مبكرة ليشق الدارس حياته العملية دون أن يظل فترة طويلة من حياته عالة على غيره .

كما روعى أن تكون الدراسة فى الصباح والمساء طوال العام تتخللها إجازة أسبوعين كل ثلاثة أشهر .

(ثالثا) نظام الفترتين فى الجامعات المصرية :

وأما عن الفكر الذى مازال يراود الباحثين فقد اقترح الدكتور / عيسى عبده رحمه الله بحيث يقسم طلاب الجامعات إلى مجموعتين كما يلى :

● مجموعة تستمر الدراسة معها فى النصف الأول من العام على أن تلتحق هذه المجموعة فى النصف الثانى بمجالات العمل المختلفة لاكتساب الخبرة مقابل أجر رمزى .

● والمجموعة الأخرى تستمر الدراسة معها فى النصف الثانى من نفس العام ثم تلتحق بميادين العمل فى النصف الأول من العام التالى .

وهذا الاقتراح يحقق هدفين فى وقت واحد هما :

الهدف الأول : استغلال الطاقة المتاحة للمؤسسات التعليمية العليا وبما يحقق خفضا فى التكاليف يصل إلى النصف .

الهدف الثانى : التدريب السنوى لطلاب الجامعة فى ميادين العمل حتى يمكنهم شق طريقهم فى الحياة العملية بدلا من الفراغ الممل طيلة خمسة أشهر ، ومع نجاح التطبيق يمكن العمل بنفس هذا الاقتراح فى مراحل الدراسة المدرسية .

* * *

مشروعات تحفيظ القرآن الكريم
بين الإيجابيات والسلبيات

يقول الرسول ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » فى سبيل ذلك تبذل معظم الدول الإسلامية جهدا كبيرا فى تدعيم مشروعات تحفيظ القرآن الكريم فى المساجد .

ورغم بذل الملايين من الأموال فإن المردود فى النهاية قليل جدا حيث إن نسبة الإقبال بين الأطفال قليلة فى المنطقة أو الحى أو القرية (حوالى ٢ ٪) ، ويمكن ملاحظة ذلك فى أى مسجد من المساجد التى يقام فيها حلقات تحفيظ القرآن الكريم .

والشىء المخيف أن معظم من يحفظون القرآن من الأطفال بعد مرور فترة سنة أو أكثر .. ينسون ما يحفظون .

● **وهناك سؤال هام :**

لماذا تقتصر هذه المشروعات على الأطفال فقط دون الشباب والرجال والنساء ؟ والرسول ﷺ يحثنا على طلب العلم من المهد إلى اللحد .

لمعالجة هذه السلبيات يلزم أن تتعاون وزارة التربية والتعليم ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والجمعيات الخيرية على انتهاج أسلوب أمثل يؤتى ثماره .

هذه دعوة عامة لمساهمة المهتمين بهذا الأمر بما لديهم من أفكار ومقترحات .

ومن بين الأفكار التى يمكن طرحها :

(**أولا**) أرى أن تكون مشروعات تحفيظ القرآن الكريم فى المساجد من قبل وزارة الأوقاف والجمعيات الخيرية مقتصراً على الرجال والنساء الراغبين فى حفظ القرآن الكريم حيث لا يوجد مبرر لحرمانهم من حفظ كتاب الله .

ولتشجيع الرجال على ذلك يمكن منحهم علاوات وترقيات عن طريق جهات العمل بشرط الكفاءة فى العمل مع الصلاح فى السلوكيات .

وبالنسبة للنساء يمكن إعطائهن مكافآت مجزية لأنهن فى الأصل معلمات لأبنائهن ، وهن كما يقول الشاعر :

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

(**ثانيا**) بالنسبة للطلاب تتولى وزارة التربية والتعليم تحفيظهم القرآن الكريم عن طريق المدارس .

(**ثالثا**) يشترط ألا يقتصر المنهج على مجرد الحفظ .. بل يسبق ذلك دراسة أحكام التلاوة فى الآيات المقرر حفظها وتفسيرها مع دراسة ما يدور حول هذه الآيات من أحاديث وفقه وتطبيق عصرى للعمل بها .. ثم فى الآيات التى بعدها ، وهذا يجعل الحفظ سهلا والعمل به ميسورا

* * *

رسائل مفتوحة إلى جهات مسئولة[1]

● **الرسالة الأولى : إلى وزارة التربية والتعليم :**

ورد فى السنة أن من يحفظ القرآن ثم ينساه فإنه يرتكب إثما كبيرا يحاسب عليه يوم القيامة .

لكن ما هو مألوف حاليا فى المدارس أن الطالب فى الصف الأول الابتدائى يكلف بحفظ بعض آيات متفرقات من القرآن الكريم وقليلا من الأحاديث النبوية ، حتى إذا ما انتقل إلى الصف الثانى نسى تماما كل ما حفظه فى الصف الأول وهكذا حتى الصف الثالث الثانوى ، حتى إذا ما وصل إلى المرحلة الجامعية يكون قد نسى كل شىء تقريبا .

والمقترح هو :

لماذا لا يكلف الطالب فى الصف الأول الابتدائى بحفظ جزء عمَّ .. وفى الصف الثانى يكلف بحفظ جزء « تبارك » بالإضافة إلى جزء عمَّ .

حتى إذا بلغ الصف الثالث الثانوى يكون قد حفظ عن ظهر قلب خمسة عشر جزءا من القرآن .. أى نصف القرآن .

● **الرسالة الثانية : إلى إدارات المكتبات العامة:**

لا شك أن المكتبات العامة تؤدى رسالة هامة جدا فى نشر الوعى الثقافى لدى الجماهير والباحثين .

---

(١) نشر فى جريدة الاتحـــــاد بدولة الإمارات العربيـــــة (٢٨ رمضان سنة ١٤١٣ هـ (٢١ / ٣ / ١٩٩٣) .

والمقترح هنا : هو توسيع نطاق تلك الخدمات العظيمة إلى أضعاف مضاعفة بحيث تخدم السواد الأعظم من الجماهير أو الباحثين الذين ليس لديهم الوقت الكافى لارتياد تلك المكتبات وذلك عن طريق المنافذ التالية :

● إنشاء مكتبات أقل حجما فى دواوين العمل المختلفة ذات الارتباط بالخدمات الجماهيرية حيث ينتظر أصحاب المصالح الساعات الطوال لقضاء مصالحهم فى ملل وقلق .. وبدلا من أن يمر عليهم الوقت ثقيلا فإنه يمكن الاستفادة منه بالاطلاع على كل ما هو مفيد .

● بالنسبة للحدائق العامة نجد أن الآباء والأمهات يذهبون إليها من أجل إمتاع أولادهم بالدرجة الأولى .. فبدلا من أن يظلوا من الصباح إلى المساء فى حالة انتظار وترقب بلا هدف لأنفسهم .. فإنه يمكن إعداد مكتبة صغيرة داخل المسجد فى كل حديقة أو الكافتيريا للاطلاع على كل ما هو مفيد .

● بالنسبة للنوادى والمقاهى فإنه بدلا من النظر فى الطرقات على خلق الله دون غض البصر .. أو لعب الكوتشينة والطاولة ساعات وساعات .. فإنه يمكن الاستفادة من الوقت بالاطلاع على كل مفيد .. وذلك بالتعاون مع أصحاب تلك النوادى والمقاهى بإعداد ركن جيد للاطلاع .

وفى تصورى أن المواد الثقافية فى تلك الأماكن لا تزيد عن : المصاحف المفسرة - رياض الصالحين - الفقه الميسر - المبادىء الأساسية فى العلوم المختلفة - المجلات الأسبوعية أو الشهرية الهادفة - الجرائد اليومية .

● **الرسالة الثالثة : إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية:**

من خلال ارتيادى للعديد من بيوت الله .. لاحظت أن المساجد التابعة للأوقاف يصلى بها التراويح عشرين ركعة .. بينما المساجد الأخرى التابعة للأهالى أو الجمعيات الخيرية يصلى بها ثمانى ركعات فقط .

لكن الذى أثار انتباهى هو أنه قد ثبت إحصائيا من الواقع أن المساجد التى يؤدى فيها صلاة التراويح عشرين ركعة لا خشوع فيها ولا اطمئنان لسرعتها وحرص الإمام على الانتهاء فى أقصر وقت ممكن .

بينما المساجد التى يؤدى فيها صلاة التراويح ثمانى ركعات تتميز بالخشوع والهدوء والاطمئنان والاستمتاع بالتلاوة .

وقد سألت أحد الأئمة : لماذا لا تكون الصلاة ثمانى ركعات فقط حتى نطمئن جميعا قال : إنه مضطر لتنفيذ تعليمات الأوقاف .

صحيح أن هناك خلافا بين العلماء فى عدد ركعات التراويح بين ثمانى ركعات وعشرين ركعة ، وست وثلاثين ركعة .

لكن فقه الواقع الآن يؤكد صحة صلاة التراويح بثمانى ركعات فقط ، وكذلك وحدة الرأى بين المسلمين ، فهل هناك تبرير آخر للأوقاف ؟ .

* * *

علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل[1]

هذا قول مأثور لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى تربية الأولاد وتنشئتهم على حب الفروسية وركوب البحر وإحياء فريضة الجهاد فى قلوبهم .

هذا القول المأثور يعد رمزًا أو شعارًا يؤخذ به فى عصرنا الحاضر لتنشئة الشباب المسلم فى تعلم كل ما هو مستحدث فى هذا العصر وما بعده .

فمثلا :

السباحة : يندرج معها فى هذا العصر كافة أنواع الألعاب الرياضية المباحة .

والرماية : يندرج معها فى هذا العصر كافة أنواع الرماية من البندقية الصغيرة إلى الصواريخ الموجهة .

وركوب الخيل : يندرج معه فى هذا العصر كافة المركبات الحديثة من دراجات وسيارات ودبابات وآلات رفع وطائرات .

تحت هذا القول المأثور كانت لى عدة مقالات اكتفى هنا باثنين منها :

الأولى : تيسيرًا على الناس فى تعلم قيادة السيارات :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» .

والمقصود بهذا القول المأثور هو تمرس الرياضة والفروسية وفن القيادة لأبناء المسلمين قاطبة . . لا على سبيل الهواية ولكن على سبيل الفرض .

---

(١) نشر بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية فى ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٤ .

ولا يتأتى ذلك إلا بالتدريب العملى لطلاب المدارس والجامعات والعاملين فى شتى القطاعات .. وما نراه الآن إنما هو مجرد هوايات لا تسمن ولا تغنى من جوع.

والفرق بين التدريب العملى والتعليم النظرى هو فرق ما بين السماء والأرض والدليل على ذلك هو : لو فرضنا أن رجلا أراد أن يتعلم قيادة السيارات عن طريق عشرات من الكتب يقرؤها ومئات من المحاضرات يسمعها .. ورجل آخر بدأ من الصفر فى قيادة السيارة بنفسه عن طريق مدرب .

لا شك أن الرجل الأول سيستغرق حياته كلها فى علم لا ينفع .. بينما الرجل الآخر سيحقق هدفه فى بضعة شهور إن لم يكن أقل وكذلك الأمر بالنسبة للسباحة .

وتيسيرا على الناس فى تعلم قيادة السيارات فى الوقت الحاضر أرى ما يلى :

● أن تكون مدارس تعليم السيارات مجهزة بالمناهج النظرية والعلمية ومزودة بمدربين على مستوى عال من الثقافة .. ويكون لديها أماكن التدريب الخاصة بها داخل أسوارها .

● أن تحدد فترات صباحية ومسائية للراغبين فى التدريب وتقسم الدراسة إلى مراحل .. ولا ينتقل الدارس من مرحلة إلى أخرى إلا بعد النجاح الحقيقى فى كل مرحلة .

الثانية : الجهاد أمر حتمى ... لكنى جبان [1]:

الجهاد فى الإسلام وقت السلم شهر كل عام .. ليس على كل قادر من المسلمين ، ولكن على البعض منهم كفرض كفاية .

حتى إذا دخل العدو أرض المسلمين صار الجهاد فرض عين على كل مسلم .

والآن تتساقط أراضى المسلمين الواحدة تِلْوَ الأخرى فى كل مكان ، دون أن نحرك ساكنا .

بدأت بالأندلس التى حكمها المسلمون ثمانية قرون من الزمان ، ثم الهند التى حكمها المسلمون ستة قرون ، ثم فلسطين التى مازالت تحت وطأة حسالى اليهود من خمسين عاما ، وأخيرا البوسنة والهرسك المقهورة تحت جرائم الصليبية فى العصر الحديث .

---

(١) نشر بمجلة الإصلاح فى دولة الامارات العربية / دبى .

ولا ندرى ماذا سيفعل بنا غدا !

تصورت نفسى : هل أنا جاهز لتلبية النداء إذا ما دعى الداعى هلموا إلى الجهاد فإن العدو قد اقتحم عليكم دياركم وأهليكم ؟ أصبت برعب انتفض منه قلبى لأنى لست جاهزاً .. رغم أنى قادر .. إذن فأنا جبان .

لكنى والحمد لله مؤمناً .. فهل يكون المؤمن جبانا ؟ لا يعقل هذا .

فأعداء الإسلام يحملون السلاح ويحاربوننا بقسوة فى كل مكان ، فهل هم الشجعان ؟

إنهم لا يكتفون بقتل الرجال .. بل تجاوزوا المدى بتجويع الأطفال أو تنصيرهم ، وتدمير البلاد وهتك أعراض النساء .

ورغم كل ذلك فأنا جبان .

ربما أتخيل أنى فى أمان فى هذه اللحظات ، ولكن هل أكون مرتاح البال وصوت الرسول ﷺ يجلجل فى أذنى :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ماذا أصنع يا ربى ؟

أنا الآن على استعداد لترك الأهل والمال .. للذهاب مع جند الله إلى الميدان .. لكنى لا أستطيع حمل السلاح وهذا هو السر فى أنى جبان .

إذن أنا فى حاجة إلى التدريب على حمل السلاح ، وأتعلم كيف أدافع عن أهلى ومالى وأوطانى دون أن أحلم بشىء اسمه الجهاد مع آخرين مثلى يخافون صوت المدافع جريا إلى المخابىء وراء الجدران .

لابد من معايشة المعارك بالكثير من المناورات والغارات حتى تعتاد أذنى على سماع صوت المدافع وكأنى أسمع أصوات البلابل ، وأن ترى عينى جنود المظلات كمثل غيث من السماء ، وأن يهتز قلبى بأزيز الطائرات تميزاً من الغيظ كمثل أرض اهتزت وربت بعد الموات .. هنا فقط أكون أشجع الشجعان .

* * *

اللغة العربية لسان كل مسلم

يوجد الآن فى العالم أكثر من ثلاثين دولة إسلامية باستثناء العالم العربى لا يتحدثون العربية ، ومنها دول كبرى لها شأنها مثل تركيا وإيران والباكستان وأندونيسيا ونيجيريا ، ثم دول وسط آسيا التى ظهرت حديثا بعد سقوط الإمبراطورية السوفيتية .

وأنا مازلت فى حيرة من أمرى متسائلا :

لماذا لم تنتشر اللغة العربية فى هذه الدول التى اعتنقت الإسلام من أكثر من عشرة قرون ؟

منذ بداية ظهور الإسلام كانت اللغة العربية منحصرة فى أرض الجزيرة العربية ، ومع انتشار الإسلام فى مصر والشام والعراق وشمال أفريقيا والسودان كانت اللغة العربية ملازمة للدعوة وجزء لا يتجزأ منها .

فما الذى حدث فى الفتوحات الأخرى التى وصلت إلى بلاد ما وراء النهر والقارة الهندية والأندلس ووسط أفريقيا ، ثم دول البلقان فى أوربا فى عصر الخلافة العثمانية ؟

لا شك أن هناك سبب ما .. لابد من البحث عنه .. ولكن مهما كانت الأسباب فإن ذلك لا يعد تبريراً للواقع المؤلم الذى تعيشه الأمة الإسلامية .

ما الذى أحجم الخلافة العثمانية طيلة عدة قرون عن نشر اللغة العربية وجعلها اللغة الرسمية فى كافة المعاملات والدواوين ووسائل الإعلام ؟

ومن قبلهم حكام المسلمين فى القارة الهندية ، ومن بعدهم ما هو كائن الآن فى دول مثل إيران وأندونيسيا ونيجيريا ؟

بل إن المصيبة قد شملت العالم العربى حيث انتشرت اللهجات الدارجة بين جمهور المسلمين فى كافة معاملاتهم وحياتهم اليومية وانحصرت اللغة العربية الفصحى فى المراحل التعليمية المدرسية وبعض الكليات الجامعية .

● **والسؤال الهام جدا :**

كيف يفهم المسلم أمور دينه وهو لا يعرف اللغة العربية الفصحى كتابة وقراءة ومحادثة ؟

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، وإذا ترجم القرآن الكريم إلى لغات أخرى فإنه لم يعد قرآنًا ، ولكنه تفسير للقرآن من المترجم ، والقرآن الكريم حمَّال الوجوه .

وجاءت السنة النبوية المطهرة من نبى عربى قرشى (عليه الصلاة والسلام) وكان هو المفسر الوحيد للقرآن الكريم والمعلم الأول لأمور ديننا الحنيف .

فى عصر الرسول ﷺ اعتنق بعض الأعاجم الإسلام فكان منهم بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى رضوان الله عليهم والسيدة / مريم القبطية إحدى زوجات الرسول (١) .

ومع دخول الأعاجم فى دين الله أفواجا فى عصر الصحابة والتابعين وتابعى التابعين كان منهم أئمة الإسلام العظام من أصحاب المذاهب ورواة الحديث الذين تزخر المكتبات الإسلامية بمؤلفاتهم باللغة العربية الفصحى حتى يومنا هذا .

ولقد كانت لى بعض المقالات فى وهذا الموضوع نشرت تباعا بالجريدة الرسمية لدولة الإمارات . . أقتطف منها ما يلى :

(الأولى) دعوة لإنشاء معهد لتعليم اللغة العربية :

على غرار المعهد البريطانى لتعليم اللغة الإنجليزية . . أرى إنشاء معهد لتعليم اللغة العربية ويكون من مهامه :

(أولا) تعليم أبناء الأقطار الإسلامية غير العربية لغة القرآن . .

(ثانيا) تعليم العمالة الآسيوية اللغة العربية وحثها على ذلك وإعطاء الأفضلية لمن يجيدون العربية للعمل بدولة الإمارات . .

(ثالثا) تعليم أبناء الأمة العربية قواعد اللغة العربية والبلاغة والشعر والإملاء وتجويد القرآن وعلوم القرآن .

هذا المعهد سيكون له شأن عظيم جدا فى الدولة لضخامة عدد العاملين من غير العرب وحتى تكون كافة المعاملات باللغة العربية فى دولة عربية . . فقد لاحظت شيوع استخدام اللغة الإنجليزية بين العرب . . كما لاحظت أن المواطنين داخل الدولة يخاطبون العمال والخدم والسائقين باللغة الأردية أو الهندوسية . . والعكس هو المطلوب . .

---

(١) المقصود بالقبطية هنا « المصرية » حيث كان يطلق لفظ القبط على شعب مصر .

وحتى يأخذ هذا المعهد مكانته المرموقة يلزم أن يكون مؤسسا من قبل الدولة وتكون له فروع فى كافة الإمارات .. وأن يكون هناك نوع من الإلزام لأصحاب الأعمال لتدريب العاملين الآسيويين عندهم على نفقاتهم ..

(الثانية) اللهجات مفسدة لقواعد اللغة ... ولولا القرآن الكريم لماتت العربية :

يتحتم علينا نحن العرب استعمال اللغة العربية فى حياتنا اليومية بدلا من اللهجات الدارجة التى تجعل الإنسان العربى لا يفهم ما يقوله شقيقه العربى فى مكان آخر .

إن هذه اللهجات مفسدة لقواعد اللغة العربية ، ولقد صدق أحد المفكرين حين قال : لولا القرآن الكريم لماتت اللغة العربية مثل غيرها من اللغات العالمية القديمة .

● **ولإحياء اللغة العربية حتى تأخذ مكان الصدارة فى العالم ،أرى ما يلى :**

تعريب كافة معاملاتنا فى دواوين العمل ووسائل التعليم بالكليات العملية حيث إنه من العيب أن يشرح أستاذ عربى لطلابه العرب باللغة الإنجليزية ، ومن العيب أيضا إرسال تلكسات باللغة الإنجليزية من مصرف عربى إلى مصرف عربى آخر فى دولة عربية [1] .

(الثالثة) تعلم لغات الأعاجم من فروض الكفاية :

سبق أن قلنا بأن أى مسلم فى العالم مطالب بأن يعرف لغة القرآن كتابة وقراءة ومحادثة كفرض عين .

وهو أيضا مطالب بأن يعرف من لغات الأعاجم لغتين على الأقل كفرض كفاية وأرى أن تكون إحدى هاتين اللغتين : اللغة الإنجليزية لأنها لغة الحضارة فى العصر الحديث ، وذلك للاطلاع والاستفادة فقط ، وليس لاستعمالها كبديل للغة العربية الفصحى فى أعمالنا وحياتنا اليومية ، ولا بأس من أن تكون بعض أبواب مواد الدراسة باللغة الإنجليزية كمنهج للتعليم وللاستعانة ببعض المراجع فى هذه اللغة[2] .

وأما بالنسبة للغة الثانية فأمرها سهل وميسر وذلك على النحو التالى :

١ - بالنسبة لرعايا الدول الإسلامية غير الناطقة باللغة العربية عليهم إتقان لغتهم الأصلية لنشر الدعوة الإسلامية بلغة قومهم .

(١) نشر بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية (نوفمبر / ١٩٨٧) .

(٢) نشر بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية (يناير / ١٩٨٨) .

٢ - بالنسبة لرعايا الدول العربية عليهم اختيار لغة ثالثة من اللغات العالمية كفرض كفاية لنشر الدعوة الإسلامية بين أقوام لا يعرفون العربية ولا الإنجليزية .

(الرابعة) مسميات الأعاجم فى قاموس اللغة العربية :

أصالة اللغة العربية وسعت القرآن الكريم لفظا ودلالة ، لكن قوما تعاملوا معها بشكل سيء إلى حـد العبث .. مثال ذلك كلمة « ساندوتش » أرادوا تعريبهـا إلى: « شاطر ومشطور وبينهما طازج » .

لكن الذى لا شك فيه أن هناك كلمات تم تعريبها ولاقت قبولا عاما مثل :

١ - كلمة « حافلة » بدلا من كلمة « باص »

٢ - كلمة « سيارة » بدلا من كلمة « أتوموبيل » .

٣ - كلمة « مصرف » بدلا من كلمة « بنك » .

٤ - كلمة « شطائر » بدلا من كلمة « سندوتشات » .

٥ - كلمة « مصباح » بدلا من كلمة « لمبة » وهكذا . . .

وأرى أنه لا بأس من استعمال المسميات التى أطلقها مخترعوها فى بلاد العجم مثال ذلك ، كلمات : راديو - تلفزيون - تليفون .

وكلمات أخرى ألِفَ العرب استعمالها .. حيث كان العـرب فى عصـر النبى ﷺ يستعملون بعض الكلمات أو المسـميات الفارسية والعبرية والمصرية القديمة .. وقد ورد ذلك بالقرآن الكريم مثل :

١ - كلمة أو اسم « اليم » وهى كلمة عبرية معناها « البحر أو النهر » .

٢ - كلمة أو اسم « قسورة » وهى كلمة فارسية معناها « الأسد » .

٣ - كلمة أو اسم « فرعون » وهى كلمة مصرية أو فرعونية معناها « الملك » وهكذا . . .

لهذا ننصح أساتذتنا الكرام بالجامعات فى الدول العربية الذين اعتادوا إلقاء محاضراتهم أو كتابة مؤلفاتهم باللغة الإنجليزية وخاصة فى الكليات العملية .. بذل قليل من الجهد لتعريب مواد الدراسة ولا بأس من الإبقاء على بعض مصطلحات الأعاجم إذا لزم الأمر .

* * *